The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Ephesians 2:3-9	أفسُس 2: 3–9
#C2601_Pt.2	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 319
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَكْ سميث

[المُقَدِّمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

أهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ صَديقي المُستَمِع في حَلْقَةٍ جَديدَةٍ مِنَ البَرْنامَج الإذاعيِّ "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم".

في حَلْقَةِ اليوَم، سَنُتابِعُ بِمَشيئَةِ الربِّ دِراسَتَنا لِرِسالَةِ بُولُسَ الرَّسول إلى أهْلِ أفَسُس. وَمَا نَأمَلُهُ وَنَرْجوهُ مِنْ أعْماقِ قُلوبِنا هُوَ أنْ تَكونَ، عَزيزي المُسْتَمِع، قَدْ تَبارَكْتَ، واسْتَفَدْتَ، وَحَقَّقْتَ نُضْجًا في عَلاقَتِكَ بالربِّ يَسوعَ المَسيح مِنْ خِلالِ هَذِهِ التَّفسيراتِ وَالتأمُّلات.

وَالآنْ، إنْ كَانَ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ، نَرْجو أنْ تَفْتَحَهُ على الأصْحاحِ الثَّاني مِنْ هَذا السِّفْرِ النَّفيسِ وَهَذِهِ الرِّسالَةِ العَظيمَةِ (أي الرِّسَالَةِ إلى أهْلِ أفَسُس). أمَّا إنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ في هَذِهِ اللَّحْظَةِ، فَمَا نَرْجوهُ مِنْكَ يا صَديقي هُوَ أنْ تُصْغي بِروحِ الخُشوعِ وَالصَّلاة.

والآنْ، نَتْرُكُكُمْ أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعين مَعَ دَرْسٍ جَديدٍ مِنَ رِسالَةِ بُولُسَ الرَّسولِ إلى أهْلِ أفَسُس ابْتِداءً بالأصْحاحِ الثَّاني وَالعَدَدِ الثَّالِث؛ دَرْسًا أعَدَّهُ لَنا الرَّاعي "تشك سميث":

[العِظَة]
(الرَّاعي "تْشَكْ سميث")

كَانَ الرَّسولُ بولسُ قَدْ قالَ في رِسالَتِهِ إلى أهْلِ أفَسُس 2: 1 و 2: "وَأنْتُمْ إذْ كُنْتُمْ أمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، الَّتِي سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلاً حَسَبَ دَهْرِ هذَا الْعَالَمِ، حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ".

وَهُوَ يُتابِعُ رِسالَتَهُ قائِلًا في العَدَدِ الثَّالِثِ:

الَّذِينَ نَحْنُ أَيْضًا جَمِيعًا تَصَرَّفْنَا قَبْلاً بَيْنَهُمْ فِي شَهَوَاتِ جَسَدِنَا، عَامِلِينَ مَشِيئَاتِ الْجَسَدِ وَالأَفْكَارِ، وَكُنَّا بِالطَّبِيعَةِ أَبْنَاءَ الْغَضَبِ كَالْبَاقِينَ أَيْضًا،

نُلاحِظُ هُنا، صَديقي المُستمع، أنَّ الرَّسولَ بولسَ يَنْتَقِلُ مِنْ ضَميرِ المُخاطَبِ "أنْتُم" إلى ضَميرِ المُتَكَلِّمِ "نَحْنُ". وَمَعَ أنَّ كلامَهُ هَذا يَصِحُّ على جَميعِ المُؤمِنينَ قَبْلَ اهْتِدائِهِمْ إلى الربِّ يَسوعَ المَسيح، فإنَّهُ يُشيرُ بِهِ هُنا إلى اليَهودِ الذينَ قَبِلوا يَسوعَ مُخَلِّصًا لِحَياتِهِم.

أمَّا الكَلِمَةُ "تَصَرَّفنا" فَتُشيرُ إلى نَمَطِ الحَياةِ الذي يَعيشُهُ اليَهودُ والنَّاسُ جَميعًا؟ ويُجيبُ بولسُ الرَّسولُ عَنْ هَذا السُّؤالِ بِقولِهِ إنَّهُمْ كانوا يَعْمَلونَ "مَشِيئَاتِ الجَسَدِ وَالأفْكَارِ". بعبارةٍ أخرى، فَقَدْ كانُوا مُسْتَسْلِمينَ لِرَغَباتِهِمْ وَشَهَواتِهِمْ. ونَرى هُنا خُطورَةَ الذِّهْنِ البَعيدِ عَنِ اللهِ. لِذلِكَ، قالَ بولسُ الرَّسولُ في رِسالَتِهِ إلى أهْلِ رُومية 12: 2: "لاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ المَرْضِيَّةُ الكَامِلَةُ".

وَهُوَ يَقولُ أيضًا إنَّهُمْ كانُوا "بِالطَّبِيعَةِ أبْنَاءَ الْغَضَبِ كَالْبَاقِينَ أيْضًا". بعبارةٍ أُخرى، فَقَدْ كُنَّا نَعيشُ بِحَسَبِ طَبيعَتِنا الجَسَدِيَّةِ الخاطِئَةِ. فالكتابُ المُقَدَّسُ يُعَلِّمُ أنَّنا نُوْلَدُ مِنْ بَطْنِ أُمَّهاتِنا وَنَحْنُ خُطاة بِطَبيعَتِنا. فنحنُ وَرَثْنا الطَّبيعَةَ الخاطِئَةَ عَنْ أبينا آدَم. وهَذا هُوَ ما قَصَدَهُ داوُدُ بِقَوْلِهِ: "هأنَذا بِالإثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي". لذلكَ، كُنَّا أبْناءَ الغَضَبِ. فَهَذِهِ هِيَ حالُ الإنْسانِ بِدونِ نِعْمَةِ الربِّ يَسوعَ المَسيح.

وَنَقْرَأُ في الكِتابِ المُقَدَّسِ عَنْ مُحاوَلاتِ سُلَيْمانَ الحَكيم للبَحْثِ عَنْ مَغْزى الحَياةِ. فَقَدْ سَعى في كُلِّ الاتِّجاهاتِ المُمْكِنَة دُوْنَ جَدْوى. فَهُوَ يَقولُ في سِفْرِ الجامِعَة: "أنَا نَاجَيْتُ قَلْبِي قَائِلاً: «هَا أنَا قَدْ عَظُمْتُ وَازْدَدْتُ حِكْمَةً أكْثَرَ مِنْ كُلِّ مَنْ كَانَ قَبْلِي عَلَى أُورُشَلِيمَ، وَقَدْ رَأى قَلْبِي كَثِيرًا مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَعْرِفَةِ». وَوَجَّهْتُ قَلْبِي لِمَعْرِفَةِ الْحِكْمَةِ وَلِمَعْرِفَةِ الْحَمَاقَةِ وَالْجَهْلِ، فَعَرَفْتُ أنَّ هذَا أيْضًا قَبْضُ الرِّيحِ. ... قُلْتُ أنَا فِي قَلْبِي: «هَلُمَّ أمْتَحِنُكَ بِالْفَرَحِ فَتَرَى خَيْرًا». وَإذَا هذَا أيْضًا بَاطِلٌ. ... عَظَّمْتُ عَمَلِي: بَنَيْتُ لِنَفْسِي بُيُوتًا، غَرَسْتُ لِنَفْسِي كُرُومًا. عَمِلْتُ لِنَفْسِي جَنَّاتٍ وَفَرَادِيسَ، وَغَرَسْتُ فِيهَا أشْجَارًا مِنْ كُلِّ نَوْعِ ثَمَرٍ. عَمِلْتُ لِنَفْسِي بِرَكَ مِيَاهٍ لِتُسْقَى بِهَا الْمَغَارِسُ الْمُنْبِتَةُ الشَّجَرَ. ... جَمَعْتُ لِنَفْسِي أيْضًا فِضَّةً وَذَهَبًا ... وَمَهْمَا اشْتَهَتْهُ عَيْنَايَ لَمْ أُمْسِكْهُ عَنْهُمَا. ... ثُمَّ الْتَفَتُّ أنَا إلَى كُلِّ أعْمَالِي الَّتِي عَمِلَتْهَا يَدَايَ، وَإلَى التَّعَبِ الَّذِي

تَعِبْتُهُ فِي عَمَلِهِ، فَإِذَا الْكُلُّ بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ، وَلاَ مَنْفَعَةَ تَحْتَ الشَّمْسِ. ... ثُمَّ الْتَفَتُّ لأَنْظُرَ الْحِكْمَةَ وَالْحَمَاقَةَ وَالْجَهْلَ. فَرَأَيْتُ أَنَّ لِلْحِكْمَةِ مَنْفَعَةً أَكْثَرَ مِنَ الْجَهْلِ، كَمَا أَنَّ لِلنُّورِ مَنْفَعَةً أَكْثَرَ مِنَ الظُّلْمَةِ. اَلْحَكِيمُ عَيْنَاهُ فِي رَأْسِهِ، أَمَّا الْجَاهِلُ فَيَسْلُكُ فِي الظَّلاَمِ. وَعَرَفْتُ أَنَا أَيْضًا أَنَّ حَادِثَةً وَاحِدَةً تَحْدُثُ لِكِلَيْهِمَا. فَقُلْتُ فِي قَلْبِي: «كَمَا يَحْدُثُ لِلْجَاهِلِ كَذلِكَ يَحْدُثُ أَيْضًا لِي أَنَا. وَإِذْ ذَاكَ، فَلِمَاذَا أَنَا أَوْفَرُ حِكْمَةً؟» فَقُلْتُ فِي قَلْبِي: «هذَا أَيْضًا بَاطِلٌ». لأَنَّهُ لَيْسَ ذِكْرٌ لِلْحَكِيمِ وَلاَ لِلْجَاهِلِ إِلَى الأَبَدِ. كَمَا مُنْذُ زَمَانٍ كَذَا الأَيَّامُ الآتِيَةُ: الْكُلُّ يُنْسَى. وَكَيْفَ يَمُوتُ الْحَكِيمُ كَالْجَاهِلِ! فَكَرِهْتُ الْحَيَاةَ، لأَنَّهُ رَدِيءٌ عِنْدِي، الْعَمَلُ الَّذِي عُمِلَ تَحْتَ الشَّمْسِ، لأَنَّ الْكُلَّ بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ".

إذًا، فَقَدْ وَجَدَ الحَكيمُ سُلَيْمانُ أنَّ "الكُلَّ باطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ". وَنَقْرَأُ في نِهايَةِ سِفْرِ الجامِعَة: "فَلْنَسْمَعْ خِتَامَ الأَمْرِ كُلِّهِ: اتَّقِ اللهَ وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ، لأَنَّ هذَا هُوَ الإِنْسَانُ كُلُّهُ".

أجَلْ يا صَديقي! فهناكَ أُناسٌ كَثيرونَ يَعيشونَ الحَياةَ بِطولِها وَعَرْضِها. وَبالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ تَجارِبِهِمْ وَمُحاولاتِهِمْ، فإنَّ النَّتيجَةَ التي وَصَلوا إليها هِيَ أنَّ الكُلَّ باطِل. فَهُناكَ فَراغٌ في قُلوبِهِمْ وَحَياتِهِمْ لا يُمْكِنُ لأيِّ شَيءٍ أوْ شَخْصٍ في الكَوْنِ كُلِّهِ أنْ يَمْلأهُ. لِماذا؟ لأنَّ هَذا الفَراغَ ناجِمٌ عَنْ بُعْدِنا عَنِ اللهِ. لِذلكَ، لا يُمْكِنُ لِهَذا الفَراغِ أنْ يَمْتَلِئَ إلَّا بِعَوْدَتِنا إلى اللهِ الحَيِّ الذي خَلَقَنا وَيَعْرِفُ جِبْلَتَنا. فالواقِعُ مُؤلِمٌ وَيَبْعَثُ على الحُزْنِ واليأس.

وَكَمْ هُوَ مُؤسِفٌ أنَّ أُناسًا كَثيرينَ يَنْجَرِفونَ مَعَ التَيَّارِ في مُحاوَلَةٍ يائِسَةٍ لإشْباعِ شَهَواتِ أجْسادِهِمْ وَمَشيئاتِ أفْكارِهِمِ البَعيدَةِ عَنِ اللهِ. وَهَذا هُوَ كُلُّ ما يُمْكِنُ للإنْسانِ أنْ يَفْعَلَهُ بِطَبيعَتِهِ السَّاقِطَة. فنحنُ كَما يَقولُ بولسُ "أبناءَ الغَضَبِ" لأنَّنا خُطاةٌ مَحْكومٌ عَلَيْنا بالدَّينونَة.

وَيُتابِعُ بولسُ الرَّسولُ رِسالَتَهُ إلى أهْلِ أفَسُس فيقولُ في الأصْحاحِ الثَّاني والعَدَدَيْنِ الرَّابِعِ والخامِس:

اللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ - بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ -

إذًا، بَعْدَ تِلْكَ الصُّورَةِ القاتِمَةِ، يَأتي بولُسُ على ذِكْرِ "اللهِ" في نُقْطَةِ تَحَوُّلٍ مُهِمَّةٍ جِدًّا. فالكَلِمَة "الله" في بِدايَةِ هَذِهِ الآيَةِ تُخْرِجُنا مِنْ حَالَةِ اليأسِ التي عِشْناها في الآياتِ الثَّلاثِ الأولى مِنَ الأصْحاحِ الثَّاني. فَقَدْ قالَ الرَّسولُ بولسُ في الأعْدادِ الثَّلاثِ الأولى: "وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، الَّتِي سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلاً حَسَبَ دَهْرِ هذَا الْعَالَمِ، حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ، الَّذِينَ نَحْنُ أَيْضًا جَمِيعًا تَصَرَّفْنَا قَبْلاً بَيْنَهُمْ فِي شَهَوَاتِ جَسَدِنَا، عَامِلِينَ مَشِيئَاتِ الْجَسَدِ وَالأَفْكَارِ، وَكُنَّا بِالطَّبِيعَةِ أَبْنَاءَ الْغَضَبِ كَالْبَاقِينَ أَيْضًا". وَيا لَها مِنْ صُوْرَةٍ قاتِمَةٍ وَتَبْعَثُ على الاكْتِئابِ حَقًّا! والحَقيقَةُ هِيَ أنَّهُ ما مِنْ أحَدٍ آخَرَ غَيْرَ اللهِ يَسْتَطيعُ أنْ يُغَيِّرَ هَذا الواقِعَ الأليم. لِذَلِكَ، يَقولُ بولسُ في العَدَدِ الرَّابِعِ إنَّ اللهَ غَنِيٌّ في الرَّحْمَةِ.

وَيا لَهُ مِنْ عَزاءٍ عَظيمٍ لِقُلوبِنا أنْ نَعْلَمَ أنَّ اللهَ غَنِيٌّ في الرَّحْمَةِ، وَأنَّهُ يُحِبُّنا كُلُّ هَذا الحُبِّ! وَهُناكَ آياتٌ كَثيرَةٌ في الكِتابِ المُقَدَّسِ عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ لَنا. فنحنُ نَقْرَأُ في الرِّسالَةِ إلى أهْلِ رُومية 5: 8: "وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا". وَنَقْرَأُ في رِسالَةِ يوحنَّا الأولى 4: 8 10: "وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ. بِهذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا: أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ. فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا". وَنَقْرَأُ في إنْجيل يوحنَّا 3: 16: "لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ".

والسُّؤالُ الذي يَطْرَحُ نَفْسَهُ هُنا هُوَ: مَتى ابْتَدَأَ اللهُ في حُبِّنا؟ وَقَدْ نَظُنُّ أنَّهُ ابْتَدَأَ في ذلِكَ عِنْدَما أحْبَبْناه، أوْ عِنْدَما عَمِلْنا مَجْموعَةً مِنَ الأعْمالِ الصَّالِحَةِ. وَقَدْ يُخَيَّلُ إلينا أنَّ اللهَ رآنا على تِلْكَ الحالِ فَقالَ: "هَذا رائِع! يا لَهُمْ مِنْ أشْخاصٍ رائِعينَ وَيَسْتَحِقُّونَ أنْ أُحِبَّهُمْ!" لا يا صَديقي! فالرَّسولُ بولسُ يَقولُ هُنا إنَّ اللهَ أحَبَّنا وَنَحْنُ أمْواتٌ بالذُّنوبِ والخَطايا! بعبارةٍ أُخرى، لا يُوْجَدُ وَقْتٌ لَمْ يَكُنِ اللهُ يُحِبُّكَ فيه. وَلَنْ يَأتي وَقْتٌ سَيَتَوَقَّفُ فيهِ اللهُ عَنْ حُبِّهِ لَكَ. فَمَعَ أنَّنا كُنَّا أمْواتًا بالذُّنوبِ والخَطايا، فإنَّ اللهَ غَفَرَ لَنا ذُنوبَنا وَخَطايانا مِنْ خِلالِ مَا عَمِلَهُ يَسوعُ لأجْلِنا على الصَّليب. وَقَدْ أدْرَكَ داوُدُ أهَمِيَّة غُفْرانِ اللهِ لَنا فَقالَ في المَزْمور 32: 1 و 2: "طُوبَى لِلَّذِي غُفِرَ إِثْمُهُ وَسُتِرَتْ خَطِيَّتُهُ. طُوبَى لِرَجُل لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً". وَقَدْ كانَ داوُدُ يُدْرِكُ مَرارَةَ العَيْشِ في الخَطِيَّةِ. لِذا فإنَّهُ يَقولُ في الأعْدادِ مِنْ 3 إلى 5 مِنَ المَزْمورِ نَفْسِهِ: "لَمَّا سَكَتُّ [أيْ: لَمَّا حاوَلْتُ إخْفاءَ خَطاياي] بَلِيَتْ عِظَامِي مِنْ زَفِيرِي الْيَوْمَ كُلَّهُ، لأَنَّ يَدَكَ ثَقُلَتْ عَلَيَّ نَهَارًا وَلَيْلاً. تَحَوَّلَتْ رُطُوبَتِي إِلَى يُبُوسَةِ الْقَيْظِ. أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيَّتِي وَلاَ أَكْتُمُ إِثْمِي. قُلْتُ: «أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي» وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيَّتِي".

لِذلكَ، فَقَدْ دَبَّرَ اللهُ الطَّريقَةَ المُناسِبَةَ لِغُفْرانِ خَطايانا. وَعِنْدَما غُفِرَتْ خَطايانا وَوُلِدْنا ثانِيَةً، صِرْنا أحْياءَ في الرُّوح. فَكُلُّ إنْسانٍ مِنَّا يُوْلَدُ جَسَدِيًّا. ولكِنَّنا لَسْنا جَميعًا نُوْلَدُ رُوْحِيًّا. فالأشْخاصُ الذينَ يَرْفُضونَ يَسوعَ المَسيحَ لا يُوْلَدونَ رُوحِيًّا. وَهَذا يَعْني أنَّهُمْ يَظَلُّونَ مُنْفَصِلينَ عَنِ اللهِ. أمَّا الأشْخاصُ الذينَ يَقْبَلونَ يَسوعَ رَبًّا وَمُخَلِّصًا لِحَياتِهِمْ، فإنَّهُمْ يُوْلَدونَ رُوْحِيًّا وَيَتَمَتَّعونَ بالشَّرِكَةِ مَعَ اللهِ الحَيِّ.

وَيُمْكِنُ القَوْلُ إنَّنا جَميعًا نُوْلَدُ لآدَمَ حَسَبَ الجَسَد. لِذلكَ فإنَّنا نُوْلَدُ في حالَةِ انْفِصالٍ عَنِ اللهِ. وَإذا بَقينا مُصِرِّينَ على البَقاءِ في تِلْكَ الحالَةِ، فإنَّ الهُوَّةَ التي تَفْصِلُنا عَنِ اللهِ سَتَبْقى على حالِها. وَهَذا يَعْني أنَّنا سَنَبْقى مُنْفَصِلينَ عَنِ اللهِ إلى أبَدِ الآبِدين. وَلَكِنَّ اللهَ الذي يُحِبُّنا لا يُريدُنا أنْ نَهْلِكَ في خَطايانا، وَلا أنْ نَبْقى مُنْفَصِلينَ عَنْهُ. لِذَلِكَ فَقَدْ جاءَ المَسيحُ وَرَدَمَ الهُوَّةَ الفاصِلَةَ بينَنا وبينَ اللهِ مِنْ خِلالِ مَوْتِهِ على الصَّليبِ لأجْلِنا. وَحينئذٍ، صَارَ بِاسْتِطاعَتِنا أنْ نَقْتَرِبَ إلى اللهِ وَأنْ نَكونَ في شَرِكَةٍ مَعَهُ لأنَّنا وُلِدْنا ثانِيَةً وَصِرْنا أولادَ اللهِ بالتَّبَنِّي. لِذَلِكَ، مَعَ أنَّنا كُنَّا أمْواتًا، فَقَدْ أحْيانا اللهُ رُوْحِيًّا لأنَّنا بالنِّعْمَةِ مُخَلَّصون. والمَقصودُ بِأنَّنا مُخَلَّصونَ بالنِّعْمَةِ هُوَ أنَّنا لا نَسْتَحِقُّ ذلك. والمَقْصودُ أيْضًا أنَّنا لا نَسْتَطيعُ أنْ نَفْعَلَ أيَّ شَيْءٍ كَيْ نَصيرَ أحْياءَ

رُوْحِيًّا. فالإنْسانُ المَيِّتُ عاجِزٌ في الأصْلِ عَنِ القِيامِ بأيِّ عَمَلٍ. وَهُوَ لا يَمْتَلِكُ القُوَّةَ في ذاتِهِ لِكَيْ يَقومَ مِنَ المَوْتِ. فالخَلاصُ هُوَ بِنِعْمَةِ اللهِ. وَهُوَ هِبَةٌ وَعَطِيَّةٌ مَجَّانِيَّةٌ مِنَ اللهِ.

وَلَكِنَّ الأمْرَ لا يَقْتَصِرُ على أنَّ اللهَ أحْيانا مَعَ المَسيح، بَلْ إنَّ الرَّسولَ بولسَ يَقولُ في رِسالَتِهِ إلى أهْلِ أفَسُس 2: 6:

وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ،

وهَذا يُرينا، صَديقي المُستمع، أنَّ اللهَ خَلَّصَنا مِنْ خَطايانا، وَأحْيانا مَعَهُ، ثُمَّ أقامَنا وَأجْلَسَنا مَعَهُ في السَّماويَّاتِ. فَلأنَّنا اتَّحَدْنا بِيَسوعَ المَسيح، صَارَ كُلُّ ما لَهُ لَنا أيْضًا. فعِنْدَما ماتَ هُوَ مُتْنا نَحْنُ عَنِ الخَطِيَّة. وَعِنْدَما دُفِنَ هُوَ دُفِنَّا نَحْنُ مَعَهُ. وَعِنْدَما قامَ مِنَ الأمْواتِ، قُمْنا مَعَهُ لِنَحْيا الحَياةَ الجَديدَةَ التي وَهَبها لَنا. وَعِنْدَما أجْلَسَهُ اللهُ الآبُ في السَّماويَّاتِ، أجْلَسَنا مَعَهُ أيْضًا.

وَلَكِنْ ما قَصْدُ اللهِ مِنْ كُلِّ مَا عَمِلَهُ لأجْلِنا؟ هَذا هُوَ ما نَقْرَأُ عَنْهُ في الرِّسالَةِ إلى أهْلِ أفَسُس 2: 7 إذْ يَقولُ بولُسُ الرَّسول:

لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ، بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.

وَهَذا يُرينا، أحِبَّاءَنا المُسْتَمِعينَ، المُسْتَقْبَلَ المَجيدَ الذي يَنْتَظِرُنا. وَكانَ الرَّسولُ بولُسُ قَدْ صَلَّى لأجْلِ مُؤمِني أفَسُس (ولأجْلِنا نحنُ أيْضًا) فَقالَ في الأصْحاحِ الأوَّلِ وَالأعْداد مِنْ 16 إلى 18: "لاَ أَزَالُ شَاكِرًا لأَجْلِكُمْ، ذَاكِرًا إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِي، كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلهُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الْمَجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالإِعْلاَنِ فِي مَعْرِفَتِهِ، مُسْتَنِيرَةً عُيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقِدِّيسِينَ".

وَهُوَ يَقولُ هُنا: "لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ، بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ". بعبارةٍ أُخرى، فإنَّنا سَنَحْيا مَعَ المَسيح يَسوع إلى أبَدِ الآبِدين. وَهَذا كُلُّهُ بِسَبَبِ غِنَى نِعْمَةِ اللهِ الفائِقَةِ وَلُطْفِهِ عَلَيْنا. لِذلكَ قالَ داوُد في المَزْمور 103: 11: "لأَنَّهُ مِثْلُ ارْتِفَاعِ السَّمَاوَاتِ فَوْقَ الأَرْضِ قَوِيَتْ رَحْمَتُهُ عَلَى خَائِفِيهِ". وسوفَ يَستمرُّ اللهُ إلى أبَدِ الدَّهْرِ في إظْهارِ غِنَى نِعْمَتِهِ الفائِقَ باللُّطْفِ عَلَيْنا في المَسيح يَسوع. فَنِعْمَتُهُ لا وَلَنْ تَنْتَهي إلى أبدِ الآبِدين.

ثُمَّ يَقولُ بولسُ الرَّسولُ في رِسالَتِهِ إلى أهْلِ أفَسُس 2: 8:

لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ.

أجَلْ يا صَديقي! فالخَلاصُ لَيْسَ مِنَّا، بَلْ هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ لَنا. بَلْ إنَّ الإيمانَ لَيْسَ مِنَّا أيْضًا، بَلْ هُوَ هِبَةٌ مِنَ اللهِ. ولِتوضيحِ هَذا الحَقِّ، نَقْرَأُ في الأصْحاحِ السَّادِسِ مِنْ سِفْرِ القُضاةِ أنَّ بَني إسْرَائِيلَ عَادُوا إلى اقترافِ الإثْمَ في عَيْنَيِ الرَّبِّ. فَسَلَّطَ الربُّ عَلَيْهِم المِدْيَانِيِّينَ سَبْعَ سَنَوَاتٍ حَتَّى لَجَأَ الإسْرَائِيلِيُّونَ إلى الجِبَالِ لِيَعِيشُوا في الكُهُوفِ وَالمَغَائِرِ. وَكُلَّمَا زَرَعَ بَنُو إسْرَائِيلَ زَرْعًا جَاءَ التَّاهِبُونَ المِدْيَانِيُّونَ وَالعَمَالِقَةُ وَسِوَاهُمْ مِنْ أبْنَاءِ المَشْرِقِ لِيَنْهَبُوا مَحَاصِيلَهُمْ، فَيَغْزُونَهُمْ وَيُتْلِفُونَ غَلاَّتِ أرْضِهِمْ وَلاَ يَتْرُكُونَ لِلإسْرَائِيلِيِّينَ مَا يَقْتَاتُونَ بِهِ، وَيَسْتَوْلُونَ أيْضًا على الغَنَمِ وَالبَقَرِ وَالحَمِيرِ. فَأذَلَّ المِدْيَانِيُّونَ الإسْرَائِيلِيِّينَ جِدًّا، فَاسْتَغَاثَ هَؤُلاءِ بِالرَّبِّ.

حينئذٍ، اخْتارَ الرَّبُّ رَجُلًا يُدْعى "جِدْعُون" لِتَخْليصِ بَني إسرائيل. وقالَ الربُّ لِجِدْعُون أنْ يَجْمَعَ المُحارِبينَ، فَكانَ عَدَدُهُمْ اثنانِ وَثلاثونَ ألْفًا. فقالَ الربُّ لِجِدْعُون: "إنَّ الشَّعْبَ الَّذِي مَعَكَ كَثِيرٌ عَلَيَّ لأدْفَعَ الْمِدْيَانِيِّينَ بِيَدِهِمْ، لِئَلاَّ يَفْتَخِرَ عَلَيَّ إِسْرَائِيلُ قَائِلاً: يَدِي خَلَّصَتْنِي. وَالآنَ نَادِ فِي آذَانِ الشَّعْبِ قَائِلاً: مَنْ كَانَ خَائِفًا وَمُرْتَعِدًا فَلْيَرْجِعْ وَيَنْصَرِفْ مِنْ جَبَلِ جِلْعَادَ". فَرَجَعَ مِنَ الشَّعْبِ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ أَلْفًا. وَبَقِيَ عَشَرَةُ آلاَفٍ. وَقَالَ الرَّبُّ لِجِدْعُونَ: "لَمْ يَزَلِ الشَّعْبُ كَثِيرًا. اِنْزِلْ بِهِمْ إِلَى الْمَاءِ فَأُنَقِّيَهُمْ لَكَ هُنَاكَ. وَيَكُونُ أَنَّ الَّذِي أَقُولُ لَكَ عَنْهُ: هذَا يَذْهَبُ مَعَكَ، فَهُوَ يَذْهَبُ مَعَكَ. وَكُلُّ مَنْ أَقُولُ لَكَ عَنْهُ: هذَا لاَ يَذْهَبُ مَعَكَ فَهُوَ لاَ يَذْهَبُ". وَفي النِّهايَة، اخْتارَ الربُّ ثَلاثَ مِئَة مُحارِبٍ فَقَط. وقالَ الربُّ لِجِدْعُون: "بِالثَّلاَثِ مِئَةِ ... أُخَلِّصُكُمْ وَأَدْفَعُ الْمِدْيَانِيِّينَ لِيَدِكَ". وَقَدْ فَعَلَ الربُّ ذَلِكَ لِكَيْ يُبَيِّنَ لِبَني إسرائيلَ أنَّهُم انْتَصَروا لا بِقُدْرَتِهِمْ ولا بِقُوَّتِهِمْ، بَلْ بِقُدْرَةِ اللهِ وَقُوَّتِه.

وَهَذا هُوَ، عَزيزي المُستمع، ما فَعَلَهُ اللهُ مَعَنا نَحْنُ أيضًا. فَهُوَ خَلَّصَنا وَأعْطانا حَياةً أبديَّةً بِنِعْمَتِهِ. وَيُبَيِّنُ الرَّسولُ بولسُ السَّبَبَ إذْ يَقولُ في رِسالَتِهِ إلى أهْلِ أفَسُس 2: 9:

لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ.

أجَلْ يا صَديقي! فاللهُ لا يُريدُ لِطَبيعَتِنا القَديمَةِ أنْ تأخُذَ المَجْدَ في خَلاصِنا. فالكِبْرِياءُ هِيَ التي جَعَلَتْ إبليسَ يَتَمَرَّدُ على اللهِ. فنحنُ نَقْرَأُ في سِفْرِ إشَعْياء 14: 12 15 عَنِ الشَّيْطان: "كَيْفَ سَقَطْتِ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهَرَةُ، بِنْتَ الصُّبْحِ؟ كَيْفَ قُطِعْتَ إِلَى الأَرْضِ يَا قَاهِرَ الأُمَمِ؟ وَأَنْتَ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ. أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللهِ، وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الاجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي الشَّمَالِ. أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ. لكِنَّكَ انْحَدَرْتَ إِلَى الْهَاوِيَةِ، إِلَى أَسَافِلِ الْجُبِّ".

ولأنَّ اللهَ يَعْرِفُ طَبيعَتَنا الخاطِئَة، فَقَدْ جَعَلَ الخَلاصَ بالنِّعْمَةِ كَيْلا يَفْتَخِرَ أحَدٌ. لِذَلِكَ، فإنَّنا نَشْكُرُ اللهَ دَائِمًا لأنَّهُ خَلَّصَنا، وَلأنَّهُ اجْتَذَبَنا إليهِ، وَلأنَّهُ وَضَعَ الإيمانَ في قُلوبِنا، ولأنَّهُ أعْطانا الحَياةَ الأبديَّةَ بيسوعَ المَسيحِ رَبِّنا. آمين!

[الخاتمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

في الحَلْقَةِ القادِمَةِ مِنْ بَرْنامَج "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم"، سَيُتابِعُ الرَّاعي "تْشَك سميث" دِراسَتَهُ لِهَذِهِ الرِسالَةِ العَظيمَةِ بِمَشيئَةِ الربِّ! لِذَا، أرْجو، صَديقي المُسْتَمِع، أنْ تَكونَ بِرِفْقَتِنا وَأنْ تُصْغي إلينا في المَرَّةِ القادِمَة كَيْ تَنالَ كُلَّ بَرَكَةٍ وَفائِدَة.

وَالآنْ، نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعينَ، مَع كَلِمَةٍ خِتاميَّة.

[كَلِمَة خِتاميَّة]
(الرَّاعي تْشَك سميث)

نَشْكُرُكَ، يا أبانا، لأنَّنَا نَحْنُ عَمَلُكَ، مَخْلُوقِينَ في المَسِيح يَسُوعَ لأعْمَال صَالِحَةٍ أعْدَدْتَها لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا. وَنَشْكُرُكَ لأجْلِ خُطَّتِكَ لِحَياتِنا، وَلأجْلِ عَمَلِكَ فينا.

وَصلاتُنا لأجْلِكَ، عَزيزي المُستمع، هِيَ أنْ تَخْضَعَ للهِ الحَيِّ، وَأنْ تُسَلِّمَ حَياتَكَ بِرُمَّتِها لَهُ. فحينئذٍ فَقَطْ، سَتَرى أنَّهُ سَيَعْمَلُ فيكَ وَمِنْ خِلالِكَ عَمَلًا عَجيبًا لِمَجْدِهِ. باسْمِ يَسوعَ المَسيح. آمين!